

كلية أبناء الريف

بقلم A. C. DENT

”نقوم “بإدارة الفلاح” بنقل أهم
المشروعات التي أخذت بها الأمم الغربية
لترقية مستوى معيشة الفلاح وتثاقفه
الاجتماعية ، إلى الفئة العربية لتكون
مادة يتخضع بها في الدراسات الاجتماعية
الخاصة بأعمال الإدارة ومشروعاتها
للفلاح . وهاهي ذى تقدم لقراء المجلة
المشروع الذى نقده الى الفئة العربية
الأستاذ على فزاد أحمد الأخصائى
الزراعى الاجتماعى بها “.

في شهر أبريل سنة ١٩٤٥ تلقت لجنة التربية بمقاطعة كمبردج The education commiter of the Cambridge country council مذكرة في موضوع ”مادة التربية الريفية والتسميلات الاجتماعية بالريف“ كتبها المستر هنرى موريس — وهو شاب عين حديثا سكرتيرا لمجلس التربية . وكان من أثر هذه المذكرة نشوء الكليات الريفية بمقاطعة كمبردج — وهو مجهود فذ بذأى لمقاومة انحلال الحضارة الريفية في إنجلترا، وإيعيد الى المجتمع الريفي شعوره برسالته ووحدته وقوته .

أما موريس هذا فقد كان رجلا بعيد النظر نافذ البصيرة وقد تملكه — وكثيرا من أمثاله — الحيرة الشديدة من عواقب أقطار الريف الانجليزي من السكان، الأمر الذى بدأ من فجر القرن التاسع عشر عندما أخذ الانقلاب الصناعى يمتص الرجال والنساء من القرى ويرمى بهم الى المدن والأوساط الصناعية، واستمر الحال هكذا من ذلك الوقت وقد رآه ما رأى من أن دم الحياة والنشاط والابتكار كانت تتزف من جسم الريف الذى سرعان ما كان يفقد كل شعور بالاستقلال الحقيقى وصار فى كل أموره تابعا للمدينة، وقد كان هذا فى اعتقاده مجيبة وطنية فهو يرى كما يرى الكثيرون غيره من المفكرين أنه يجب لسلامة حضارة الدولة أن تقوم دائما مؤسسة على ثقافتين أحدهما حضرية والأخرى ريفية ، وأن الساج لأحدهما بالذبول والانحدار هو نفخ لأساس الحياة القومية .

ولكن كان من الواضح أن القضاء على الحضارة الريفية الانجليزية أصبح أمرا محتوما ما لم يسعفه علاج حاسم — فقد مضى أكثر من مائة عام على جريان ذلك التيار العاتى الذى يحرف أفضل سكانه مقدرة ونشاطا يجعلهم من القرى ومن الأعمال الريفية الى المصانع والمعامل والاشتغال بمؤسسات الأعمال بالمدن والأوساط الصناعية . ونتج عن ذلك أن الحاصلات الزراعية والتقدم الريفي لم يجد يقوى على مسايرة الزمن وأصبحت كل رفاهية

ونحو لخدمات الاجتماعية الحديثة مقصورة على أهل المدن — أما المجتمع القروي فائن بقي في ظاهره على حاله — فلقد كان يسير بخطى سريرة إلى ما لا يزيد عن مجموعات من السكان جمعهم التمدد بلا رابطة ولا وحدة ولا مصالح مشتركة ، وشارفت روحهم الاجتماعية الموت ولكنهم لم تمت وما زالت الفرصة سانحة لحياتها ، وكما قال أحد الكتاب "لا تزال المجتمعات القروية إلى الأيام الأخيرة تحتفظ بانسانيتها الخاصة التي تبدو واضحة في صناعاتها وفي فن التمثيل بها وفي موسيقاها وفي رقصها . وحيثما بذل مجهود بدت عودتها للحياة وانضج أن التقاليد الريفية لم يتزل بها القضاء الأخير ، وحى في جوارحها تقاليد انجليزية ما يزال يربح من ورائها الخير الكثير للانسانية في العالم " .

ولكن هذه المحاولات الفردية لانعاش التقاليد وجد أنها إنما تفيد فائدة جزئية كما كانت تبدو مصطنعة أكثر منها طبيعية ، فما كانت الثقافة التي يؤتى بها تكاد تؤثر في كتلة سكان الريف ، وكانت ضئيلة الأثر أو عديمته في حل مشكلة العمل الأساسية ، وقد نفذت نصيرة "موريس" إلى سبب ذلك ، فأبلغ المجمع البريطاني في سنة ١٩٣٦ أن تلك الرسائل إنما تلمس ناحية من الحياة الريفية دون مراعاة لباقي النواحي ، فقد أريد بها في مجموعها بعث الماضي دون النظر إلى الظروف الحديثة وبخاصة التقدم اذائل في الحياة الاجتماعية العامة .

القرية الانجليزية بوصفها وحدة اجتماعية هي أثر من آثار القرون الوسطى — عصر ما قبل الصناعة في القرنين السابع والثامن عشر — يعيش أهلها في عصر لا عهد له بالطرق الممهدة كما يفهمها الجيل الحاضر ولا بوسائل النقل السريعة ، ولا يعني أهلها إن كان تعدادهم مائتين أو ألف كما يعني ذلك أهل الصناعة أو القاطنين بالخدمة الاجتماعية .

فقال "موريس" للجنة سنة ١٩٢٥ فلنقترب من المشكلة لالنعود بالريف إلى ما كان عليه في الماضي ، ولكن لنقدم به في بحر السنين المائة أو المائتين القادمين ليعيش في الحاضر بل وليسبقه إلى المستقبل ، ثم قال : إن من الواضح أن التدابير الاقتصادية لخدمات الاجتماعية الحديثة والرفاهية في المعيشة يتطلب وحدات اجتماعية أكبر من القرية بمفردها ، وإن القرية المستقلة التي تستطيع أن تنعم بمفردها بالحياة المعهلة الرغدة فكرة راحية ولا عودة لها ، فالقرية بمفردها لا تستطيع أن تمد أهلها بحياة كاملة من الناحية الثقافية أو الناحية الاجتماعية التي عقد النشء العزم على تحصيلها .

كيف الوسيلة إذن لتمكين أهل القرية من الوصول إلى حياة اجتماعية كاملة مستقلة عن المدن ؟ يقول موريس في ذلك إنه لا بد من اختيار منطقة ريفية rural region بمثابة وحدة اجتماعية ثقافية cultural social unit ذلك هو النظام الوحيد الذي يحل مشكلة خضوع القرية للناس أمام المدينة فلم يعد الاختيار بين القرية والمدينة ولكن بين المنطقة الريفية والمدينة وما لم نجعل المنطقة الريفية ختسا بين القرية والمدينة فإن أمر القرية لا بد وأن يصير إلى الدمار .

وقد يكون هناك في الريف الإنجليزي مناطق ريفية تتكون من البندر الريفي The small country town وما يتبعه من القرى ، ولكن هناك مناطق تتكون وحدها من مجموعة من القرى المتقاربة حول قرية مركزية ، وهذه الأخيرة هي ما عناه موريس وقصد بإبرازه الى عالم الحقيقة لتكون وحدة ثقافية واجتماعية ناجحة .

رأى أن مشكلة الريف لا يستطيع حلها بتناولها مجزأة بل يجب معالجتها ككل ، ولم يكن يرتاب في الشكل ولا في الجهة التي يأتي منها العلاج — فكان يقول أن جماعتنا سواء أكانت ريفية أم حضرية يجب أن يدور نظامها ويتأسس بنائها حول معاهدتها التهذيبية — فإذا أردنا أن نشيد حضارة ناهضة في الريف فإن أول عمل أساسي نقوم به هو أن نجعل للريف سياسة بلدية محاية للتعليم Localized & indigenous system of education وعلى هذا الأساس يبنى مشروعه للكليات الريفية .

وتقوم فكرته الأساسية على أنه يلزم أن يكون في المناطق الجغرافية الطبيعية التي سبق الكلام عنها بلاد كبيرة بمثابة قواعد أو مراكز لهذه المناطق ، وأن تجرى وتنظم الشؤون التهذيبية والاجتماعية على أيدي جماعات متعاونة ، سواء أكانت هذه الجماعات حكومية التكوين أو قائمة على أساس التطوع ، جماعات مما سبق من قبل وجودها بالأوساط الريفية منعزلة بعضها عن بعض وبذلك لم يكن لها أثر عملي ، ومن رايه أن مجلس المقاطعة يكون له القوة بمقتضى القوانين القائمة على إدارة وتنظيم هذه الجماعات وربطها وتنسيقها مع بعضها .

ولم تكن الفكرة في حد ذاتها بدعة ، فقد نشأت من قبل في أمريكا — وجرت إلى حد ما ونشأت أفكار مماثلة ببلدان أخرى ولكن فضل موريس الأكبر يرجع إلى تحويله للفكرة إلى العرف الإنجليزي الريفي ونقل الفكرة إلى حيز التنفيذ .

اقترح موريس أن يكون نواة المركز الجماعي Community centre هي المدرسة المتوسطة Post primary school للذكور (من سن ١١ — ١٤) ، لكن الكلية التي صورها تضم وتجمع في دائرة بناء واحد جميع الخدمات التي يقرر عملها مجلس المقاطعة — ولكن ذلك فرص تعليمية للذكور كما تكون للصغار — كما يكون بها استداد للتعليم الزراعي والمنزلي والخدمات الطبية المدرسية والصحية العامة والمكتبات المدرسية والمكتبات العامة ، وأن تيسر وسائل الرياضة للذكور والصغار كما تعد الى جانب ذلك غرف يجتمع فيها مجالس المقاطعة Parish councils المضطلة بالسلطة الحكومية في المنطقة — وغرف أخرى لميقات المتطوعين بالمنطقة بمثابة مراكز لنشاطهم — كما يشمل البناء الى جانب ذلك مراكز لخير الأمومة والطفولة — ومدرسة خزانة Nursery school للأطفال بين الثانية والخامسة ومدرسة ابتدائية Primary school للأطفال ما بين الخامسة والحادية عشر مركزها القرية الرئيسية

ومدرسة متوسطة Post Primary يلحق بها اصبهان ، بين سنة الحادية عشر والخامسة عشر من جميع القرى التي تشمل عليها المنطقة — ومراكز لأشغال اليدوية والعلوم المتزلية ينفع منها الأطفال والمراهقون ومدرسة يتفنون فيها نونا من التعليم الثانوى الريفى وأن تخصص ناحية من البناء للكبار يتلقون فيها تعليما خاصا بهم . ومنها للألعاب وللنشاط الاجتماعى وعقد الجمعيات — كما يجب أن يتوفر بالمكان عيادات لخدمات الصحة المدرسية والعامة ومجال للألعاب وحوض للسباحة ومكتب لتخديم الصبيان والبنات فى الصناعات الريشية وأن يحاط البناء بمجموعة من البساتين والميادين الرياضية الواسعة ، وبالاختصار فإن كل التسهيلات اللازمة لرفاهية الحياة يجب أن تتوفر فى أحسن صورها rural education of a secondary type

ولقد كتب المستر موريس فى مذكرته الأصلية أن حاجة الريف لا يمكن الوفاء بها بغير أن نعيد تنظيم المدارس الأولية ، فنعمد القرى بتعليم ابتدائى وثانوى يناسب البنين والبنات حتى يستطيع هؤلاء الريفيون أن يحصلوا على فرصتهم فى التعليم كأندادهم من المدنيين ، وأن يوفر لهم التعليم العالى والتعليم الفنى Higher technical education حتى يمكن لسكان الريف أن يضمّنوا حياة اجتماعية ورياضية قائمة على أساس متين .

هنرى موريس فنان كبير عظيم الخيال لا يغيب عن باله أبدا أن يعمل من إنجلترا جمالا فى كل نواحيها ، وأن يرى من أن يرى مبان وضيفة مشوقة تدنس ريفها المحبوب ، فكان أساس تصوره لكلية الريف أن يكون بناؤها فى هندسته عملا فنيا رائعا ، وأن يكون أثاثها ومعداتها مما يناسب الذوق السليم ، وأن يختار موقعها وسط جمال الطبيعة ، يحيط بها الأراضى الواسعة ويتجلى فيها الجلال والبهجة ، وتستطيع أن تتصورها باه من نجاح عندما تقرأ ما كتبه إحدى الأمريكيات عندما قامت بزيارة كليات الريف ومعاهد التربية فى أنحاء المعمورة "لا يزور انسان كليات الريف إلا وتأخذ بساطة الجمال وسمو نوع مواد التعليم الجارية وما يتجلى فى كل نواح المشروع من دلائل الذكاء والحكمة " ولا ريب أن كل من رأى هذه الكليات سيؤيد رأى هذه الأمريكية .

وبعد أن أمنت لجنة التربية بمقاطعة كبرج النظر فى مقترحات المستر موريس أقربها من حيث المبدأ ، وقد سحقت الفرصة لاختبارها منذ زمن قصير . ففى بلدة سوستن Souston البالغ تعدادها نحو ١٥٠٠ نسمة والتي تقع على مسافة سبعة أميال جنوبى مدينة جامعة كبرج حدث ببناء مدرستها عطب خطير الإصلاح ، ودل الفحص على أن بناء جديدا يحتاج لتكليف لا يزيد كثيرا على اللازمة لإصلاح القديم ، وكانت سوستن هذه إحدى القرى التي اختارها موريس لتكون مركزا لمنطقة ريفية ، فقررت لجنة التربية أن تخوض غمار المشروع ، وفى ١٣ أكتوبر سنة ١٩٢٧ وافقت على مشروع لكلية ريفية تجريبية لمنطقة سوستن الريفية ، وكانت الكلية تخدم تسعة فرى فصاذا تبعد بأربعة أميال ، وقدّرت

تكاليف البناء بمبلغ ١٦,٠٠٠ جنيه ، ميزانية ضخمة إذا قورنت بميزانية المدرسة السابقة التي كانت ٦,٠٠٠ جنيه، ولذا فسرعان ما قفزت الإعانات المحلية والخارجية ، فنها هوذا المستر ه. ج. سبنسر H. G. Spincer وهو صاحب أكبر مصنع في سوستن - مصنع للورق - بذل منحة سخية هي مقدار سبع مساحته ١٢ فدانا واكتتب هو وأعضاء أمرته بمبلغ خمسمائة جنيه لحجرة الخدمات الطبية ومحسنة أخرى لإنشاء مركز للمعلوم المنزلية Domestic science centre

وها هو ذا مصرف كارنجي للأمة المتحدة The Carnegie United Kingdom trust وهو يعطف دائما على التجارب التربوية بذل عطاء جيليا بمبلغ ٥٠٠ جنيه ليعين على نفقات البهو والمكتبة وغرف الكيمياء والتعلم الزراعي ويمثل رئيس المدرسة .

بنينا قامت التبري بمبلغ ٥٠٠ جنيه، كما وعدت مطبعة جامعة كمبريدج بتقديم الكتب للمكتبة .. وهكذا ، بجانب المساعدات الأخرى توفرت جميع المبالغ المطلوبة للعمل .

وسار المشروع فورا في التنفيذ ، وفي أكتوبر سنة ١٩٣٠ افتتحت كلية قرية سوستن رسميا تلك الكلية التي هي أولى نوعها في العالم في احتفال رأسه سمو البرنس أوف ويلز الذي أنصف في خطبته إذ وصف المدرسة بأنها محاولة جريئة وبجهود بدائي من ناحية مجلس مقاطعة كمبريدج ليظهر كيف يتأق لاريف الانجليزى أن ينال فرسا للتربية والحياة الاجتماعية والرياضة على قدم المساواة مع ما يتمتع به سكان المدن العظيمة . وانتهز رئيس مجلس المقاطعة المناسبة ليطرى اثناء المستحق لهنرى موريس الذى يرجع إلى بعد نظره ونشاطه وغيرته أن صار المشروع مثلا لتقدم التربية الريفية في أنحاء المملكة .

وكانت سوستن واحدة من احدى عشر كلية من كليات القرية في المشروع الذى وضع ليعطى جميع منطقة كمبريدج الريفية . فقبل افتتاحها بسبعة أشهر أقرت لجنة التربية مشروعا بانفائها . . . ولم ينفذ لان غير أربعة منها - فقد افتتحت الثانية في بوتشام Botsham سنة ١٩٣٧ ، وتلتها ليتون Linton سنة ١٩٣٨ ثم امبجتون Impington سنة ١٩٣٩ عندما نشبت الحرب تماما - ولكن هذه الأربعة أظهرت بجدارة - رغم سنى الحرب التي حدثت من النشاط الطبيعي لهذه الكليات - ما كان للتجربة من قيمة كبيرة .

وفي الحقيقة أنها الآن أكبر من تجربة ، فقد تحقق بها الحكم الذى صدر عند افتتاح سوستن انها تعين افتتاح وجه جديد هام في التربية الريفية الانجليزية . والمثل الأعلى والغرض من كل من هذه الكلية واحد طبعاً ولذا فان الخلاف ليس الا في بعض

تفاصيل وما يدور حولها من النشاط، إلا أن كل كلية ليست تمتاز عن زميلاتها من الناحية الهندسية فحسب، بل من حيث انتقالها التي جرت عليها — وفضلا عن ذلك فإن الموارد المالية لم تكن أبدا كافية لتحقيق كل ما أراد موريس تحقيقه، ولكن كلما تقدم المشروع زاد تمويله شيئا فشيئا تمويلًا مناسبًا واتخذت الخطة طريقها المرسوم.

فبوتشام — لا لديها مدرسة حضارة وأخرى ابتدائية وهذه الأخيرة حجرات استراحة كبيرة وحمام — فضلا عن حجرات لخدمات الطبية — وهناك عيادة ومعدات لمركز رعاية الأم والطفل.

وأحدثها وهي امينجتن تعتبر أطرف هذه الكليات، فقد شيدت تذكارا لجون شيفرز وهو مؤسس شركة صنع المربي الكبائن متعنها الرئيسى بالقرية، وقد قام أعضاء عائلة شيفرز بتقديم المقر ومسطحه اثني عشر فدانا، وبذلوا عطاء قدره ثمانية آلاف جنيه لتكاليف بناء جناح الكبار، وقام بتصميم لبناء المهندسان المتاران والتر جروبس وما كسويل فرأى، فامينجتن هذه بناء تفخر به أى منطقة ريفية، وقد عاقت الحرب إتمام أبنيتها فإذا ما تمت فسوف تكون من آخر العجارات وأفضلها في النحاء انجلترا.

ويقع البناء على بعد قليل من الطريق العام ويصل إليه في متسع سمانوى من الحضرة تتناثر عليه بعض الأشجار القديمة الجميلة وتكتنف الأشجار كذلك مداخل وهو الاجتماع ويشغل باقى الواجهة جناح الكبار. أما جناح الدراسة فيقع في الخلف بعيدا عن ضوضاء الطريق ويواجه الجنوب الشرقى حتى تغمه الشمس. ويظل على منظر بديع من خللاء الحقول. ويدل تصميم البناء على توقع وهو الاجتماع وجناح الكبار وجناح الدراسة تقع بحيث تؤدي وظائفها ممتثلة تماما ولكنها يحكم نسيجها ككل واحد، وقد جعلت ممرات مباشرة من قسم لآخر بشكل جميل..

ولا يسع المرء إلا أن يملكه النائر عند ما يدخل جناح الكبار، فاشجر تتجلى فيها البساطة مع العظمة، مريحة في مجموعها، وقد كسيت جدران حجر المحاضرات واشجر العادية بالنشب المشغول المقرنص بغيره لاء واتخذ أساسه من خشب القرو المنجد نتيجا حديثا.

ويشمل جناح الكبار مكتبة مفتوحة للجميع وحجرة نادية ملحق بها مقصف وثلاث حجرات لألعاب وحجرة للمحاضرات وحجرة للجان وأخرى للاجتماعات تتسع لثلاثة وستون شخصا، وبها مسرح لطيف يضئ بثلاثة ألوان من الإضاءة وبه أفلام ناطقة، وهذه المدرسة كما هو الحال بغيرها تستعمل حجر الدراسة ليلًا للكبار فى الأغراض التربوية والنشاط الاجتماعى، ويمكن إذا دعا الأمر أن يزداد على البناء أما كن جديدة بغير أن يفسد تصميمه.

والآن كيف كان وقع إنشاء الكلية فى نفوس الأهالى الذين هم أهل المنطقة الريفية؟ لقد كان وقعا حسنا فى جملته، ويجب ألا يغيب عنا أمران: أولهما أن أهل الريف الإنجليزى

من المحافظين المتطرفين ، ومن طبعهم التطير من كل فكرة جديدة ، وثانيها أن أقدم هذه الكليات إنما بدأ العمل فيها منذ اثني عشر عاما وما يزال بعضها في دور طفولته ، فتر عيلا مبنيجن إلا بطروف زمن الحرب التي لا بدوا أنها شديدة الأثر في إعاقة تقدمها ، ومع ذلك فإن نحو ١٢٠٠ - ١٤٠٠ من عدد سكان المنطقة البالغين ٧٥٠٠ في سنة ١٩٤٢ وهم من سن الرابعة عشرة إلى ما فوق السبعين واطبوا على حضور الكلية عاملين في النشاط الاجتماعي والتربوي ، ذلك رغمًا عن ظروف الظلام أثناء الفترات الجوية ورغمًا عن تغيب الشبان والشابات عن الوطن مع الجيش ومشقة العمل المتزايدة في سبيل الدفاع عن المدن الملقى على عاتق الشيوخ وتقييد النقل بالسيارات . فكان متوسط المواظبة على الفصل في الأسبوع نحوًا من ثلاثمائة وكان يستعمل البناء باستمرار نحو ٣٠٠ جندي من العسكريين المقيمين بالمنطقة بناء على دعوة لأعضاء قوات صاحب الجلالة .

وفي شتاء ١٩٤٢ - ١٩٤٣ كان هناك ستة عشرة جمعية أوناد أو فصل تربوي جارية العمل للبحار وثمانية للصغار ما بين الرابعة عشرة والعشرين سنة . وكانت المواضيع متفاوتة منها : الرقص الريفي ، وصناعة الخشب ، وصناعة المعادن ، وصناعة الملابس ، ودراسة اللاتين الألمانية والفرنسية ، وكانت هناك محاضرات عامة عن الحالة الجارية وعن الدين وعن العناية بتنشئة الأطفال ، وكانت الجمعية الزراعية وجمعية فلاحية الإسماتين وجمعية التمثيل والموسيقى ونادى الجراموفون وجماعة الأناشيد تسير كما كانت في السنين السالفة سيرًا قويًا .

ولعله مما يسر المعنيين بتتبع حالة الكليات أن يطلعوا على ما بلغت شدة تعلق الهواة بالموسيقى نشيدًا وعزفًا وسموا ، فهناك اعتقاد سائد أن الإنجليز شعب لا يهتم بالموسيقى ، فكان العمل بكلية كبرددج القروية برهانا قاطعا على فساد هذا الاعتقاد ، يدل على ذلك ما أخرجته فرقة النشيد في أمبجنج أثناء هذا الموسم من قطع جبارة "كالماسيا" لماندل وقطع من أوبرا كارمن . ومن ضمن منشئات الصغار هناك نادى الأولاد الصبيان والبنات ونادى للزراعة ونادى للهوايات ومعسكرات إعدادية لخدمة العسكرية Pre-service training unit وهذه الأخيرة من مبتدعات الحرب ، ولكنها لا بد وأن تستمر في صورة ما أيام السلم ، وهناك جمعية للتمثيل بين الصغار وحلقات للبحث والمنافسة في الشؤون الجارية وفصول للرياضة البدنية وصالة للرقص ، وليس هناك الآن استعداد خاص لأولاء الصغار ، ولكن عند ما تسمح الظروف سيستأنف البناء بإضافة جناح للصغار في أمبجنج فقد رسم التصميم من قبل ودبر له مبلغ من المال ، وزيادة على هذا النشاط فقد اشتمل برنامج الفصل على سلسلة المحاضرات العامة نظمت بانتعاش مع وزارة الاستعلامات موضوعها "تاريخ الشعوب المتحالفة والبلدان الأخرى" ، كما أقيمت معارض لصور المصورين المدنيين من بينها صورًا مارة من المتجفف الوطني . ومنها متاحف للطبوغرافيا ، ومتاحف الإنتاج الكتب وقد نظمت كثير من الحفلات عن طريق فرقة الأناشيد وجمعية الموسيقى وبجاس تشجيع الموسيقى والفن ، خلاف الحفلات السنائية الأسبوعية ، والتمثيليات الثلاث التي أخرجتها جماعة التمثيل .

ووجوه النشاط بالكليات الأخرى قريبة الشبه جدا بما ذكرناه في أمبجنجتن — فكلية
بوتشام بها ثمانية عشر ناداً لآلاد الكجار والبنات ، وعرض كل أسبوعين عن الطهى
في زمن الحرب (وقد عمم ذلك في جميع الكليات) كما أقيم فصل الرياضيات Mathematics
وكانت تلتقى محاضرات عامة بهذه الكلية من عام ١٩٤٢ — ١٩٤٤ كان من موضوعاتها تاريخ
أوروبا منذ فرساي — والحكومة وحماية الفرد — الجانب الرينى — وكلها شواهد على
مستوى عال من وجوه الاهتمام والتفكير .

وكان طلبة كلية سوستن يحضرون دراسة موضوعها "كيف نفهم روسيا" أو الموسيقى
والمستمع العادى ، أما الفصول العملية فكانت تشمل الاختزال والآلة الكاتبة والاسعافات
الأولية — وكان برنامج لثن يشمل حلقات بحث في اللاسلكى وقد بدأ بصفة عملية في السنة
السابقة وقد دل على مجاح باذر .

وفي الناحية العلمية كانت هناك دراسة في الأدب — بينا في الناحية العملية دراسات
في النسيج اليدوى ، ولكن الدراسة التربوية وعتد الجمعيات والنوادي ايس من الضروري
أن يكون لها دخل كبير في تمويل عدد من الأفراد الى جماعة — فقد يحتمل أن تعمل على
تفريقهم الى جماعات صغيرة متنافرة مالم يوجد هدف مشترك ومصلحة مشتركة تستطيع أن
تربط هذه الأفراد في جماعة — وهو ما يلجسه مشروع مقاطعة كبرديج في نظام الحكم الذاتى
الذى تطبقه في جميع كلياتها .

والسلطة التنفيذية للكلية في يد لجنة التربية لمقاطعة كبرديج ، ومجلس الادارة ،
ويتألف المجلس من مندوبين يختارهم لجنة التربية في كل قرية في المنطقة — ومندوب
واحد عن كل مجلس مقاطعة ومن رئيس مجلس الطلبة — ومجلس الطلبة هذا هيئة ذات
أهمية عظمى يختارها اتحاد الطلبة وعضويتها مفتوحة لكل فرد ينتفع بانتظام من الكلية وهو
يمثل كل نوع من النشاط بالكلية ويمثل جميع فصول التعليم والجمعيات والنوادي والمكتبة
والمكتشف ومساعدى الغرف المعتادة Common room's helpers كما أن هناك مندوبين
عن القرى الخارجية .

والمجلس له سلطته التامة في الحكم الذاتى فهو يشرف على كل حياة الكلية ويشير بطرق
إدارتها العامة Its general govermanse وبترتيب البرامج المسائية ويؤايف اللجان الفرعية
لتعاليج يتخصص نواحى نشاط الحياة المختلفة بالكلية ، والمكتبة والمقصف ونادى الفتيان
والوظائف الاجتماعية ونحوها وله التصرف في مبالغ متنوعة ، وهذه النقطة تحتاج الى بيان ،
فالكليات ولو أنها استندت الى حد كبير على الأموال العامة — إذ أن أغلب نفقاتها من
الأموال العامة — لم تكن بحال

معاهد للصدقة ، فلا يتمتع الأعضاء بكل الخدمات المجان وإنما هم يتكروّن نواح من النشاط والخدمات يتحملون نفقاتها، ولا يعملونها نقداً فحسب بل يتطوعون بالمساعدة فيها، وتعتبر أعمال النواصي جميعاً على أيدي المتطوعين ، وقد يكون عمل المتطوع كثيراً جداً في بعض الأحوال . ففني مهندس مثلاً سيعون امرأة مساعدة يتعاون العمل بمعدل سبعة كل قبيلة لإعداد المقصف والخدمة في وجبات الطعام والمطابخ ، ثم إن بعض الغرف تعطى بالإيجار ويقوم مجلس الطلبة نفسه بدفع إيجار عن استعماله للقصف الذي يديره على أنه عمل تجاري ، ويدفع نادي الرياضة إيجاراً محترماً عن الغرف التي يستعملها ، ولكن لا يدفع شيئاً عن الغرف التي تستعمل في النشاط المدرسي ، إنما يدفع الطلبة الرسوم المقررة عن استمرار المحاضرات وعن دراسات أخرى تنظمها هيئات لتعليم الكبار ولا ينفق من المبالغ التي يجمعها مجلس الطلبة إلا بأشاد المجلس الذي ينفقها غالباً في شراء معدات وفي تمويل خدمة السيارات التي تنقل الطلبة من القرى المجاورة إلى الكلية بأجور زهيدة .

وليس من الضروري الإشارة إلى أن هذا الضرب من الإدارة يهيئ تدريباً قيماً جداً وعملياً في إعداد المواطن ، وهو في الواقع عمل ديمقراطي يتوسعه يسمح للجمع كله أن يأخذ بالأساليب الديمقراطية . وهذا هو في الواقع حجر الزاوية في أهداف الكلية القروية .

وماذا عن المستقبل ؟ لا يسع الإنسان أن يتصور ما يسند إلى الكلية القروية من رسالة منشودة ، وما قد تحقق منها الكثير في هذه الفترة القصيرة . فالكليات الأربع الموجودة ولدت في أقصى الظروف وكان قد قدر عليها أن تقابل بأصعب العراقيل الناشئة عن ظروف الحرب ولكن مما يسترعى الانتباه أن أحد عمداًها يكتب الآتي في مستهل السنة الرابعة من الحرب : "إن الشدائد كانت برداً على كونها عوامل تذيب كما كانت هي عقبات ، وفي الحقيقة أننا تعلمنا منها كما تعلم أهل المدن والقرى في أنحاء المملكة الحاجة إلى مركز جماعي كهذا ولذا فما يزال مجال عملنا يتزايد " .

وغني عن البيان أن الحاجة ماسة إلى مراكز جماعية Community centres فلئن كانت البقاع الأخرى في إنجلترا ما تزال خالية من كليات تضارع كليات مقاطعة كبريدج فإنه يغلب في كل مقاطعة وجود رجال ونساء قد تألفوا للأخذ بنصيب في نواحي النشاط المماثلة يديرون نواد من نوع ما عندنا وجمعيات غالباً ما تصل إلى درجة راقية من الإدارة، ولكنهم على العموم لا يملكون منزلاً خاصاً بهم فيلجأون إلى استئجار أبنية شيدت لأغراض أخرى ، فكانت مقاطعة كبريدج مرشداً للطريق من وجهتين ، أنها حققت تعريفاً للوحدة الحديثة أي المنطقة الريفية ، وأنها فتحت التربة الريفية للجمع على وضع جميل محترم ، وليس هذا بالعمل القليل .

ترجمة : علي فردا أحمد

الأخصائي الاجتماعي بإدارة الدلاح